

(١)

### حرمة الكذب والافتراء والإفساد وإشاعة الفوضى

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد ميز الله (عز وجل) الأمة الإسلامية بأن جعلها أمة قيم سامية، وأخلاق كريمة، وارتضى لهم من الأفعال والأقوال معاليها، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ).

وإن من أهم المقومات التي تبنى عليها الدول الراقية المتحضرة القيم الأخلاقية والسلوكية والإنسانية والحضارية؛ لأن الأمم التي لا تبنى على الأخلاق أمم هشة، وحضارتها أكثر هشاشة، بل إنها لتحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها، وعوامل قيامها، والله در الشاعر حيث قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت \*\*\* فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وديننا الحنيف ما ترك قيمة من القيم الإنسانية الراقية، ولا خلقا من الأخلاق الكريمة إلا دعا إليه، ولا ترك سلوكا سيئا، ولا خلقا غير كريم إلا وحذر منه، وإن من الأمور التي حذر منها ديننا الحنيف، ونهى عن فعلها، وجعلها من الأمور المحرمة: الكذب والافتراء والإفساد وإشاعة الفوضى؛ لما لذلك كله من آثار سلبية على الفرد والمجتمع، فهي أمراض اجتماعية وآفات خطيرة تهدد كيان الأمم وتزعزع استقرارها.

(٢)

فالكذب نقيصة من النقائص التي لا تليق بالإنسان الكريم ، وسلوك مذموم حذر منه القرآن العظيم ، لسوء عواقبه وخبت نتائجه ، فهو جماع كل شرٍّ ، وأصل كل ذمٍّ ، فإن الذين يكذبون على الله (عز وجل) من أجل تبرير مصالحهم وتصرفاتهم ، يسلكون مسلكاً خطيراً يؤدي إلى العتب بدين الله (عز وجل) وبمصلح الأمة ، ويبعث على الفرقة والشتات في صفوفها ، لذا حذرنا ربنا سبحانه من هذا المسلك وتوعد الله (عز وجل) صاحبه بالعقاب الشديد والعذاب الأليم في الآخرة ، حيث قال: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ، وكذلك أخبر نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن عقوبة الكذب مبينا أنه يقود صاحبه إلى النار والعياذ بالله ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا).

على أن الكذب أمانة من أمارات النفاق وعلامة من علاماته ، فإذا ذكر النفاق في القرآن ذكر معه الكذب ، وإذا ذكر الكذب ذكر معه النفاق ، قال تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}. فقال (صلى الله عليه وسلم) : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ) ، وفي رواية : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَمَهَا ، إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) ، فمن

(٣)

اجتمعت فيه هذه الخصال فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين ، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق.

فالكذب عنوان النفاق ، إضافة إلى أن وجوده في الشخص دليل على ضعف الإيمان ، لذلك قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ) ، ولقد نفى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن المؤمن أن يكون كذابا ، حين سئل : (أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ فَقَالَ : " نَعَمْ ؟ " ، فَقِيلَ لَهُ : أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا ؟ فَقَالَ : " نَعَمْ " ، فَقِيلَ لَهُ : أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا ؟ فَقَالَ : " لَا " ) .

وقد رتب النبي (صلى الله عليه وسلم) على ترك الكذب والبعد عنه ثوابا عظيما، حيث قال: (أنا زعيمٌ ببيتِ في ربضِ الجنةِ لمن تركَ المرءَ وإنْ كانَ مُحَقًّا، وبيتِ في وسطِ الجنةِ لمن تركَ الكذبَ وإنْ كانَ مازحًا، وبيتِ في أعلى الجنةِ لمن حَسَنَ خُلُقَهُ).

وإذا كان الكذب نقيصة وجريمة فإن الافتراء على الأبرياء واختلاق الأحداث الكاذبة التي ربما يستهين البعض بنشرها وترويجها أشد جرما وأعظم نكرانا ؛ لأن رمي الناس بما لم يعملوا ، وبهتانهم بما لم يفعلوا ، عاقبته وخيمة ، وآثاره أليمة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} ، وقال (عز وجل): {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} .

ولا شك أن الشائعات التي لا أصل لها هي كذب متعمد ، وافتراء على الله ، وعلى خلقه ، تهدف إلى الهدم والإفساد ، {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} .

ولقد كانت ولا زالت الشائعات المغرزة ، والأخبار الكاذبة على مر التاريخ من

(٤)

أقوى الأسلحة التي تعمل على التدمير المعنوي والمادي للأفراد والمجتمعات ، وهي صورة من صور الافتراء الذي يهدف إلى الفتنة وعدم الثقة بين الناس ، وبث الوهن في نفوس الآملين ، وتثبيط المصلحين الصادقين ، وقد عدّ الإسلام ذلك سلوكا منافيا للأخلاق الكريمة والمثل العليا التي جاء بها ديننا الحنيف ، من المحبة والموادّة والإخاء ، والتراحم والتعاطف والتعاون ، أما الشائعة التي تحمل الكذب والافتراء فما هي إلا نفس لتلك القيم ، وأداة هدم لهذه المثل ، بسببها تكثر العداوات بين الناس ، وتسفك الدماء وتنتهك الأعراض ، وتشتعل الحروب ، وبسببها يذهب الأمن وتتفكك روابط المجتمع .

لذلك وقف الإسلام منها موقفاً حاسماً ، فحذر منها وبين آثارها ، وأمر بحفظ اللسان ونهى عن الكذب وقول الزور والبهتان ، وأمر بالتثبت من الأقوال والأخبار ، حتى لا نساق خلف من يردد الشائعة ويروج لها ، ونرددها دون وعي فنكون شركاء في الإثم والذنب دون أن ندري .

على أن هؤلاء الذين الذين يروجون الشائعات بين أوساط المجتمع بقصد إثارة الفتن ونشر الفوضى إنما يتحالفون مع أعداء الدين والوطن لإيقاف مسيرة البناء والعطاء ، أو تعطيلها وتشكيك الناس فيها ، ولن يكون لهم ذلك أبداً بإذن الله تعالى ، وفي أمثال هؤلاء يقول ربنا (عز وجل) : { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا } ، ويقول تعالى : { وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا } .

وعلينا أن ندرك أن خطورة الشائعات والافتراءات لا تقتصر على الفرد فحسب ، بل إن أثرها وخطورها يمتدان إلى المجتمع كله ، فبسببها تدمر العلاقات بين

أفراد المجتمع ، وبسببها تفتعل الأزمات ، وتتعطل المصالح وتفسد الحياة .  
 فالشائعات من أهم الوسائل المؤدية إلى الفتنة والوقية بين الناس ، ومن ثم  
 حرمها الإسلام فقال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا  
 لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } ، وقد أمرنا ديننا بالتروي والتثبت ، فقال الحق  
 سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ  
 فَتُصِبْحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

\* \* \*

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي  
 الصالحين ، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صلى الله  
 عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

**إخوة الإسلام :**

إذا كان الله (عز وجل) قد أمرنا بإعمار الأرض وإصلاحها ، فقال : { هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ  
 الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } ، فإنه سبحانه وتعالى حذرنا من السعي فيها بالفساد والإفساد ،  
 حيث قال : { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } ، فكل ما من شأنه أن يحدث فساداً ،  
 أو اعتداءً ، أو تخريباً وتدميراً ، أو ترويعاً للآمنين ، يُعدُّ إفساداً في الأرض .

ولقد جاءت رسالات السماء كلها داعيةً إلى الإصلاح ، ومحذرةً من الفساد  
 والتخريب ، قال تعالى : { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ  
 رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } ، وقال سبحانه على لسان نبيه صالح (عليه السلام)  
 لقومه : { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ \* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(٦)

وَلَا يُصْلِحُونَ}، وقال تعالى أيضاً : {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} .  
إنه إصلاح لا يريد من خلاله تحصيل مصالح ومآرب شخصية ، ولا ينطلق من  
بواعث ونوازع نفسية أو من صراع شخصي ، إنما هو إصلاح يعود بالنفع العام على  
سائر أفراد المجتمع .

وعندما استخلف موسى (عليه السلام) أخاه هارون (عليه السلام) في قومه  
أوصاه بالإصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين ، قال تعالى : {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ  
لَيْلَةً وَأَنَّمْنَاهَا عَشْرَ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي  
قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} .

والمتدبر في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ودعوته يرى أنها كانت  
امتداداً لدعوة الأنبياء السابقين قبله واستكمالاً للإصلاح في جميع مناحي الحياة  
دينيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، فقد بنى (صلى الله عليه وسلم) حضارة إسلامية  
مرتبطة بالقيم والأخلاق ، بعد أن كان المجتمع ملوثاً بمفاسد أخلاقية ، فكانت  
دعوته (صلى الله عليه وسلم) هي دعوة حياة وإصلاح للفرد والمجتمع ، قال تعالى :  
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} .

أما التخريب والاعتداء على الأنفس وترويع الآمنين ونشر الفوضى ما هو إلا  
إفساد في الأرض ، وتخريب للمجتمعات ، وهؤلاء العملاء الخونة الذين يريدون  
تخريب الأوطان والاعتداء على الآمنين ، هم فئة ضالة منحرفة ضلت الطريق ،  
وانسلخت من كل معاني المروءة والإنسانية ، إلى الاعتداء والتخريب والتدمير  
والتفجير ، وتعريض حياة الناس للخطر ، هؤلاء لا علاقة لهم بالإسلام ، ولا بالأديان ،  
ولا بالإنسانية ؛ فهم يلبسون الباطل ثوب الحق ، ويظهرون في صورة المصلحين ،

(٧)

لكن الله (عز وجل) كشف أمرهم بقوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } ، وهو سبحانه وتعالى يعلم حالهم ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، قال تعالى : { وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ } .

وفي الختام نؤكد أن الأديان كلها قائمة على البناء والتعمير ، وفي صناعة الحياة لا صناعة الموت ، وحب الخير للناس ، لا إلحاق الأذى بهم ، وأن عواقب الكذب والافتراء والخيانة للدين والوطن والعمالة لأعدائهما ذل ومهانة في الدنيا ، وخزي وحسرة وندامة يوم القيامة ، { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا } .

وهو ما يتطلب من كل الوطنيين الشرفاء الغيورين على دينهم ووطنهم وعرضهم وكرامتهم أن يقفوا صفا واحدا في وجه دعاة الفوضى ، وألا نسمح مجتمعين لأحد أو ثلّة منحرفة أن تحاول مجرد محاولة جونا إلى الفوضى التي عصفت بكثير من الدول ، فوقعت ولم تقم ، ودخلت في أتون الفوضى فلم تخرج منها ، وأن نتعامل بكل حسم مع هذه الظواهر السلبية ، وأن نكون جميعا عيوننا ساهرة على أمن هذا الوطن وأمانه متعاونين في الوفاء بحقه العظيم علينا جميعاً .

**اللهم طهر ألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة**

**وقلوبنا من النفاق ، واهدنا سبيل الرشاد .**